كيفيّة جلوس رسول الله ﷺ

علمنا النبيّ ﷺ بعض المبادئ الخاصّة بالجلوس، ووضع لذلك قواعد وأُسسًا معيّنة مثلما فعل في غيرها من الأمور، وهي قواعد وآداب تهمّ كلّ امرئٍ مسلمٍ، وإذا نظرنا إلى حياة رسول الله ﷺ نرى كيفيّاتٍ مختلفةً لجلستِهِ طبقًا للزمان والمكان والأشخاص الموجودين حوله، كما نتعرّف أيضًا على طرق الجلوس التي أقرّها ﷺ وأمر بها أو التي نهى عنها.

أ. الكيفيّات التي طبّقها النبيّ ﷺ

١- الجلوس على الركبة

كانت طريقة جلسة الرسول ﷺ المعتادة هي الجلوس على الركبة، غير أنّنا لم نقابل أيّ روايةٍ عن الصحابة الكرام توضّح أنه ﷺ كان يجثو على ركبتيه، ولأنّه ﷺ كان يجلس على ركبتيه بصفةٍ عامّةٍ؛ فلذلك لم يُتطرّق إلى ذكر هذه الجلسةِ في متون الحديث بشكلٍ خاصٍّ، ولهذا

obeikandi.com

السبب لم تُصادف فيها عبارات من قبيل: ''كان يجلس على ركبتيه'' أو ''رأيته ﷺ وهو جالسٌ على ركبتيه''، فنحن مثلًا نرى وصف هذه الجلسة في حديث جبريل عليه السلام فيقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ''بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ''(٦٩)، ويروي لنا أبو هريرة رضي الله عنه مثل ذلك في حديثٍ آخر فيقول، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ''سَلُونِي، فَهَابُوهُ أَنْ يَسْأَلُوهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَجَلَسَ عِنْدَ رُكْبَتَيْه''(٧٠)، نرى في مثل هذه الأحاديث أن الرسول ﷺ كان يجلس على ركبتيه.

٢- التربّع في الجلسة

كما أن للرسول ﷺ جِلْسَة أخرى تُسمّى "التربّع"، وقد ورد عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: ''كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ تَرَبَّعَ فِي مَجْلِسِهِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسْنَاءَ''(٧١) أي إن المصطفى ﷺ كان يجلس بعد صلاة الفجرِ متربّعًا في مكان صلاته دون أن يتحوّل عن القبلة حتى طلوع الشمس، وفي ذلك الوقت كان ينشغل بذكر الله والردّ على أسئِلة الصحابة، وتلبيبة مطالبهم.

كان رسول الله ﷺ يحبّ جلسة التربّع لأنها الجلسة التي تريح الإنسان وهي تتناسب مع قواعد الآداب، حتى إنه ﷺ شُوهِدَ كثيرًا وهو يجلس هذه الجِلسة ليس في المسجد فقط بل في المنزل أيضًا وفي بعض المجالس العامّة مع الآخرين.

(٦٩) صحيح مسلم، الإيمان، ١.
(٧٠) صحيح مسلم، الإيمان، ١.
(٧١) سنن أبي داود، الأدب، ٢٦.

obeikandl.com

٣- الجلوس محتبيًا بيديه

أ. جلسة القُرْفُصَاء

وهي الجلسة التي يجلس المرء فيها على إليتيه ضامًّا قدميه إلى بطنه ثم يلفّ ذراعيه ويربطهما حول قدميه، ولقد رأى الصحابة النبيّ ﷺ أحيانًا وهو يجلس هذه الجلسة فيقول عبد الله بن عمر ﷺ: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ مُحْتَبِيًا بِيَدِهِ هَكَذَا"(٧٢)، ولقد طبق الرسول ﷺ هذه الكيفيّة في الجلوس كثيرًا، وهناك روايةٌ أخرى للسيّدة قَيْلَةَ بِنْت مَخْرَمَةَ ﷺ حيثُ قالت: "عندما جئت لأعتنق الإسلام رَأَيتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ قَاعِدٌ الْقُرْفُصَاءَ فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ الْمُخْتَشِعَ وَقَالَ مُوسَى -أحد الرواة-: الْمُتَخَشِّعَ، فِي الْجِلْسَةِ أُرْعِدْتُ مِنَ الفَرَقِ"(٧٣)، وسبب اختيار هذه الجلسة وتفضيلها أن فيها التستّر الكامل إذ لا احتماليّة فيها لكشف العورة، وحينما قدِمت السيّدة قَيلَةُ بنتُ مَخْرَمَةَ إلى المدينة برفقة وفدٍ بُغيةَ اعتناق الإسلام؛ وقعَ نظرُها على الجلال النبويّ والكمال المحمّدي رسول الله ﷺ، فلما رأته ارتبكت واضطربت، وعندما أُخْبِرَ النبيّ ﷺ بما حلّ بها؛ طلب منها أن تهدأ وتطمئنّ، وعندما سمعت المرأة ذلك اطمئنّ قلبها، وهذا هو تفصيل الواقعة التي تُبيّن هيئة جلسة الرسول ﷺ في الحديث الشريف.

ب. جلسة الاحْتِباء

لقد عرَّفها عاصم أفندي بقوله: "هي أن يلتفّ الشخص بثوبه ويتلفّع بحزامه أو نطاقه ويلفّ به ظهره وساقيه"، فجلسة الاحتباء في هيئتها مثل الجلسة السابقة، لكن الفرق بينهما أنه في القرفصاء تلتفّ الركبتين باليدين أما في الاحتباء فهما يلتفّان بالنطاق أو بالحزام أو ما شابه ذلك.

(٧٢) صحيح البخاري، الاستئذان، ٣٤.

(٧٣) سنن أبي داود، الأدب، ٢٢.

٤- جلسة الجُثُوم

ثمّة هيئةٌ أخرى لجلوس الرسول ﷺ وهي "جلسة الجُثُوم" والتي كان يطبّقها كثيرًا أثناء الطعام وقد عُبِّر عنها في الأحاديث بـ"الاحتفاظ" أو "الإقعاء"(٧٤) وفي هذا رواية عن أنس بن مالك ﷺ قال: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مُقْعِيًا يَأْكُلُ تَمْرًا"(٧٥).

٥- الجلوس مُدليًا قدميه

وهي جلسة يجلسها المرء على حجرٍ أو جدارٍ أو مسبحٍ ويدلّي قدميه من أعلاها، في روايةٍ عن أبي موسى الأشعريّ ﷺ: "أن رسول الله ﷺ كان مجتمعًا مع أصحابه فدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَهُ فِي الْقُفِّ وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ"(٧٦).

ب. الجِلْساتُ التي نهى عنها ﷺ

هناك جِلسات لم يستحسنها الرسول ﷺ ونهى أصحابه عنها، وهي:

١- الجلوس واضعًا إحدى يديه خلفه

لم يستحسن الرسول ﷺ الجلوس مع وضع راحة إحدى اليدين إلى الخلف والاستناد إليها، وفي رواية عَنْ الشَّرِيدِ بْنِ سُوَيْدٍ ﷺ، قَالَ: "مَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا جَالِسٌ هَكَذَا، وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِيَ الْيُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلْيَةِ يَدِي، فَقَالَ ﷺ: **أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟**"(٧٧).

لقد كان النبيّ ﷺ ينبه على الفور عندما يشهد من أصحابه ما لا يرتضيه لهم من سلوك، فينهاهم عنه فورًا، وفي الحديث السابق يتّضح

(٧٤) الإقعاء: هو الجلوس على الإليةِ ونصب الساق والفخذ، وهو يُشبه كثيرًا الجلوس على الركبتين.

(٧٥) صحيح مسلم، الأشربة، ١٤٨-١٤٩.

(٧٦) صحيح البخاري، أصحاب النبي، ٥.

(٧٧) سنن أبي داود، الأدب، ٢٤.

أنـه ﷺ لم يستحسـن تلك الهيئة مـن الجلوس، وذلك لأنّ من يجلس هذه الجلسـة يتولّـد لديه شـعور الغرور والتكبّـر، ومَن اغتـرّ وتكبّر فقد عصى الله، ومن يعصِ الله يكن من المغضوب عليهم، ولذلك شـبّه النبيّ ﷺ هذه الجلسة بجلسة المغضوب عليهم.

٢- الجلوس واضعًا يديه خلف ظهره

كمـا أن الجلـوس -بوضـع إحـدى اليدين خلف الظهـر- منهيٌّ عنه؛ فإن الجلوس بوضعهما كليهما غير مستحَبّ أيضًا، لأن هذه الجلسة أيضًا معروفةٌ بأنها جلسة التكبّر والتغطرس.

٣- الجلوس في أماكن غير مناسبة

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ ﷺ عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: "**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ**، فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ ﷺ: **فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا**، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ ﷺ: **غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ**"(٧٨).

فالجلوسُ في الطرقات بغرض تمضية الوقت والاسـتمتاع هو سـلوكٌ مكـروهٌ، لكـن إذا كانـت هناك ضـرورة لذلك فلا بدّ من مراعـاة ما أمر به الرسول ﷺ في هذا الشأن، وإذا ما أردنا الجلوس فلْنُراعِ في مجالسنا -إلى جانـب الآداب العامّة- الكيفيّات المسـتحبّة في هيئات الجلوس، فنجلس جلسـة التربّـع مثلًا أو نجثو أو نجلـس القرفصاء وفيما عدا ذلك لا ينبغي لنـا أن نجلـس واضعين يـدًا أو اثنتين خلف الظهر، كما أنه لا ينبغي لنا أن نجلس بين شخصين بلا استئذان، أو وسط حِلَقِ العلم أو في الأماكن التي يُستهزأ فيها بالدين كما سيأتي.

(٧٨) صحيح البخاري، المظالم، ٢٢؛ صحيح مسلم، اللباس، ١١٤.

ج. آداب الجلوس التي أوصى بها ﷺ

١- اتباع آداب الجلوس في المجالس

أمـر الرسـول ﷺ ببعـض الآداب التي يجب اتّباعهـا عند الجلوس في المجالس، فمن جلس في مكانٍ للمرّة الأولى هو أحقّ به ممّن جاء وجلس بعـده، ولهذا نَهَى النَّبِـيُّ ﷺ أَنْ يُقِيمَ الرَّجُلُ أَخَاهُ مِنْ مَقْعَدِهِ وَيَجْلِسَ فِيهِ[٧٩] وهنـاك روايـةٌ أخرى "أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَـالَ: **إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسِـهِ ثُـمَّ رَجَـعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ**"[٨٠]، ولذلك كان أصحاب المصطفى ﷺ عندما يدخلـون مجلسًـا يجلسـون فـي الأماكن الفارغـة دون إزعاج أحـد، فعَنْ جَابِـرِ بْـنِ سَـمُرَةَ ﷺ قَـالَ: "كُنَّـا إِذَا أَتَيْنَـا النَّبِـيَّ ﷺ، جَلَـسَ أَحَدُنَـا حَيْثُ يَنْتَهِي"[٨١].

نعم، هناك أشـخاصٌ يأتون إلى المجلس متأخّرين ويريدون الجلوس في المقدّمة وهذا سلوكٌ غير مقبول، فربما ينزعج مَن في المجلس بسبب هذا الأمر، وكما جاء في الأحاديث إذا لم يتوفّر مكان في المجلس فيجب على الجالسـين إتاحة مكانٍ لمن جـاء بعدهم أو محاولة تضييق الصفوف وضمّها، ولقد أكّد القرآن الكريم على أهمّيّة هذا الأمر في سورة المجادلة فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّـحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَـحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ**﴾[٨٢].

٢- عدم الجلوس بين شخصين دون استئذان

ومـن الآداب والسـلوكيّات الحضاريـة والراقية التي أمر الرسـول ﷺ باتّباعها في المجلس؛ عدم الجلوس بين شخصين دون استئذان، وفي هذا

(٧٩) صحيح البخاري، الجمعة، ٢٠.
(٨٠) صحيح مسلم، السلام، ٣١.
(٨١) سنن أبي داود، الأدب، ١٤.
(٨٢) سُورَةُ الْمُجَادِلَةِ: ١١/٥٨.

حديث نبويٌّ رواهُ عمرو بن شعيب ﷺ مرفوعًا: ''**لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا**''(٨٣)، أي لا يجوز الجلوس بين اثنين يجلسان جنبًا إلى جنبٍ إلا بإذنهما.

و ممّا لا يجوز فعله من السلوكيات أيضًا؛ محاولةُ تخطّي رقاب الجالسين في المسجد من أجل التقدّم إلى الصفوف الأمامية، وفي هذا يشرح لنا أنس بن مالك ﷺ واقعةً حدثت في عهد النبي ﷺ فيقول: ''بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ حَتَّى جَلَسَ قَرِيبًا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاتَهُ قَالَ ﷺ: **مَا مَنَعَكَ يَا فُلَانُ أَنْ تُجَمِّعَ مَعَنَا؟** قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ حَرَصْتُ أَنْ أَضَعَ نَفْسِي بِالْمَكَانِ الَّذِي تَرَى قَالَ ﷺ: **قَدْ رَأَيْتُكَ تَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ وَتُؤْذِيهِمْ، مَنْ آذَى مُسْلِمًا فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ ﷻ**''(٨٤)، وقد كان سؤال رسول الله ﷺ ذلك الرجل: ''**مَا مَنَعَكَ يَا فُلَانُ أَنْ تُجَمِّعَ مَعَنَا؟**'' إخبارًا منه ﷺ للرجل بأنّ ما فعله من تخطّي الرقاب هو أمرٌ مذموم، فربما تُقبل صلاة الرجل؛ إلا أن إيذاءه الناس ليس أمرًا محمودًا، ولذلك فإن سيدنا رسول الله ﷺ اضطرّ إلى تنبيهه.

٣- النهي عن الجلوس وسط الحَلْقَة

إن الجلوس وسط حلقةٍ -اجتمعت من أجل الذكر أو الوعظ أو التعليم- سلوكٌ مذمومٌ غير محمود، وفي رواية عن حذيفة ﷺ: ''أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَعَنَ مَنْ جَلَسَ وَسْطَ الْحَلْقَةِ''(٨٥).

(٨٣) سنن أبي داود، الأدب، ٢١.

(٨٤) الطبراني: المعجم الأوسط، ٦٠/٤؛ المعجم الأوسط، ٢٨٤/١.

(٨٥) سنن أبي داود، الأدب، ١٤.

٤- النهي عن الجلوس في الأماكن التي يُسخر فيها من الدين

لا يجوز للمسلمين أن يتواجدوا في الأماكن التي يُستهزأ فيها بآيات الله ويُستخفّ بها، وهذا الأمر ذُكر في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**﴾(٨٦).

أما الذين يجلسون في مجالس لا تخوض في الدين ولا تهزأ به، بل هي مجالس عادية؛ فيقول لهم النبي ﷺ فيما يروي عنه أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعًا: "**مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ**"(٨٧).

(٨٦) سُورَةُ النِّسَاءِ: ٤/١٤٠.

(٨٧) سنن الترمذي، الدعوات، ٣٩.

obeikandl.com